المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القُرْآن الكَريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

واقع مجتمع شمال نيجيريا من تعظيم الله عز وجل
(دراسة ميدانية)

اسم الباحث

أ/ طاهر محمد زين

طاهر محمّد زين

واقع مجتمع شمال نيجيريا من تعظيم الله عزّ وجلّ

دراسة ميدانية

ملخص الورقة

الحمد لله العلي العظيم، والصلاة والسلام علىٰ نبيه الكريم،،

وبعد؛ فإنَّ النَّاظر في واقع مسلمي شمال نيجيريا اليوم يجد أن تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- وتعظيم شعائره ليس كما هو الحال عند سلفهم، وإن من أعظم ما ابتُلي به المسلمون اليوم في هذا المجتمع -مجتمع شمال نيجيريا- التقصير في معرفة الخالق سبحانه وتعالىٰ، وعدم تعظيمه حقَّ التعظيم، حيثُ انجر كثير من المسلمين وراء الشهوات والملذات، وكثرت المعاصي والمنكرات، وانتشر أكل الرِّبا أضعافًا مضاعفة. وفي مقابل ذلك بدأت ظاهرة التهاون بالعبادات، وعدم استشعار عظمة الله تعالىٰ تنخر في جسد هذا المجتمع -سيما في أوساط الشباب- وهذا الواقع المرير الذي يعيشه مجتمع شمال نيجيريا -الذي تقطنه أغلبية مسلمة- ما هو إلا نتيجة لأسباب وعوامل متراكمة، أدَّت في مجموعها إلىٰ هذه النتيجة المؤلمة، وساهمت في تفاقمها وانتشارها، حتىٰ وصلت إلىٰ هذا الحدِّ.

ولعل من أهمّ هذه الأسباب: ضعف الإيمان بالله في قلوب الناس في هذا المجتمع، فتجد-مثلا- الناس في الأسواق وغيرها من الأماكن العامة يحلفون بأعلىٰ أنواع القسم وهم يعلمون يقينًا أنّهم علىٰ خطأ، وترىٰ البعض يتجاهر بالمعاصي كشرب الخمور والزِّنا لا لعدم معرفته بحرمتها أو كونها جريمة يعاقب عليها الشرع، وإنّما لخلو قلبه من الإيمان، وعدم استشعار عظمة الخالق -جلَّ جلاله-، والبُعد عن هدي كتابه العظيم. فاستوجب ذلك الدِّراسة والبحث والتحليل لهذه العوامل، ومن ثمّ اقتراح الحلول المناسبة لها، حتىٰ ينعم المجتمع بحلاوة تعظيم الخالق -جلَّ وعلا-.

وتهدف هذه الورقة إلىٰ نشر ثقافة تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في مجتمع شمال نيجيريا، وترسيخ أعظمِ قيمةٍ في حياةِ المسلمِ، وهي: تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- من خلال تحقيق العبوديةُ له وحده سبحانه. ولمعالجة الموضوع انتهج الباحث المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستنباطي الاستدلالي، وتمحورت الدِّراسة حول النقاط الآتية:

المحور الأول: مفهوم تعظيم الله تعالىٰ وأهميته.

المحور الثاني: طبيعة سكان شمال نيجيريا ومدىٰ تعلقهم بكتاب الله هديا وتطبيقا.

المحور الثالث: الأسباب المانعة لتعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في شمال نيجيريا وسبل علاجها.

المحور الرابع: أمور تعين علىٰ تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-.

المحور الخامس: دور العلماء والدعاة في نشر ثقافة تعظيم الله تعالىٰ في شمال نيجيريا.

ثمّ الخاتمة، وتشتمل علىٰ أهم النتائج والتوصيات.

مقدمة

إنَّ تعظيمَ اللهِ -عزَّ وجلَّ- من أعظمِ العباداتِ التي غفلَ عنها كثيرٌ من الناسِ، فساءتْ أحوالُهم، وانقلبتْ موازينُهم، وتلاعبتْ بهم الشياطينُ والأهواءُ والأنفسُ الأمارةُ بالسوءِ، فالتوحيدُ الذي هو رأسُ الأمرِ هو الأصلُ في تعظيمِ اللهِ -عزَّ وجلَّ- فاللهُ -عزَّ وجلَّ- أعظمُ من أن يُعْبَدَ معَهُ غيرُه، قال الله تعالىٰ في الحديثِ القُدْسِيِّ: «**أنا أغنىٰ الشركاءِ عن الشِّركِ، من عملَ عملًا أشركَ فيه معي غَيْرِي تركتُه وشِرْكَهُ**»[1]، فمن مقتضىٰ تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- إخلاص العبادة له وحده، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾[الزُّمَر].

وقد أمر سبحانه بتعظيمه فقال تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾[الواقعة].

وكل ما في هذا الكون من مخلوقات فهو معظِّم لله، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝١٨﴾[الحج]، ولمَّا عبدَ قومُ نوحٍ الأصنامَ أنكرَ عليهم نوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وقال لهم: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾[نوح].

قال ابنُ عبَّاسٍ: أي ما لكم لا ترجونَ للهِ عظمةً[2]، وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ: ما لكم لا تُعَظِّمُونَ اللهَ حقَّ عظمتِه. ثم بيَّن لنا سبحانه الدَّواعي والأسباب التي تحثُّ المرء علىٰ تعظيم الله -جلَّ في علاه- وتوقيره سبحانه[3]، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨﴾[نوح].

هذا؛ وإنَّ المعظِّمَ للهِ -عزَّ وجلَّ- متوازنٌ من جميعِ الجوانبِ، يحملُ همَّ الآخرةِ ولا ينسىٰ نصيبهُ من الدُّنيا، معظِّمٌ لأمرِ اللهِ ونهيه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، محقِّقٌ لتوحيدِ اللهِ علىٰ أكملِ وجهٍ، سالمٌ من الشِّركِ بجميعِ صورِهِ، مؤدٍّ واجباتِهِ الدّينيةِ علىٰ أكملِ وجهٍ من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ

(١) صحيح مسلم (٢٩٨٥).

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٨/ ٢٩١).

(٣) صفات الله وآثارها في إيمان العبد (٧/ ١٣).

وحجٍّ وغيرِها من الفرائضِ والواجباتِ. وهو كذلك من أعظمِ الناسِ تأديةً للحقوقِ، وأعظمها: حقُّ الوالدين والأبناءِ والزوجةِ والأرحامِ والجيرانِ والأصدقاءِ والأطفالِ والفقيرِ وغيرِهم. وكذلك فإنَّه يجتنبُ المحرماتِ التي نهىٰ اللهُ عنها من مسكراتٍ ومخدراتٍ وانحرافاتٍ جنسيةٍ، واعتداءاتٍ علىٰ الأنفسِ والأموالِ بالسَّرقةِ والرشوةِ وغيرِها[١].

وممّا قاله ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ عن منزلة التعظيم: «هذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلىٰ قدر المعرفة يكون تعظيم الربّ -تعالىٰ- في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا»[٢]. وقال السَّعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولما كان من أسماء الله -تعالىٰ- الحسنىٰ: المجيد والكبير والعظيم، فإنَّ معنىٰ هذه الأسماء: أنَّ الله -عزَّ وجلَّ- هو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال، الذي هو أكبر من كلّ شيء، وأعظم من كلّ شيء، وأجلّ وأعلىٰ، وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه[٣].

---

(١) تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد» (٢٧) بتصرف.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٦٢٢).

المحور الأول: مفهوم تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-

أولاً: التعظيم لغة واصطلاحا

قال ابن فارس: «الْعَيْنُ وَالظَّاءُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ كِبَرٍ وَقُوَّةٍ. فَالْعِظَمُ: مَصْدَرُ الشَّيْءِ الْعَظِيمِ»[1]، والتَعْظيمُ: التبجيلُ. واسْتَعْظَمه: عدَّه عظيمًا. واستعظَمَ وتَعَظَّمَ: تكبر. والعظمة: الكبرياء[2].

عظَّمَ يعظِّم، تعظيمًا، فهو مُعظِّم، والمفعول مُعظَّم. عظَّم والدَه: كبَّره، وفخَّمه، وبجَّله، ووقَّره، واحترمه، وأجَلَّه[3]. فالتَّعظيم إذن هو: التَّكبير والتَّبجيل والتَّفخيم.

وأمَّا التَّعظيم اصطلاحًا: قال محمَّد بن رشد: «تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- هو الخوف له والعمل بطاعته والبدار إلىٰ ما يقرب منه من الأعمال التي ترضيه»[4].

وعليه؛ فإنَّ تعظيم الله يُقصد به: مهابته واتقاءه من خلال إدراك جلالته وعظمته وتبجيله. وصفة العظمة في الله تعالىٰ تظهر في كلِّ شيء، فهو -عزَّ وجلَّ- عظيمُ الذَّات وعظيم الأفعال والصِّفات، وليس من عظيم غيره، وكلُّ مَن دونه -سبحانه- صغيرٌ، ولا يجوز تعظيم غير الله.

ثانياً: أهمية تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-

تظهر أهمية تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في كون التعظيم هو صلب الإيمان واعتراف بقدرة الله وحكمته علىٰ جميع مخلوقاته، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أهمية تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-: «فمن اعتقد الوحدانيَّة في الألوهيَّة لله سبحانه وتعالىٰ، والرِّسالة لعبده ورسوله، ثم لم يُتْبِع هذا الاعتقاد موجَبَه من الإجلال والإكرام الذي هو حالٌ في القلب يظهر أثره علىٰ الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبًا لفساد ذلك الاعتقاد، ومزيلًا لما فيه من المنفعة والصَّلاح»[5].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (مادة عظم ٤/ ٣٥٥).

(٢) الصحاح (مادة عظم ٥/ ١٩٨٧).

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة (مادة عظم ٢/ ١٥١٩).

(٤) البيان والتحصيل (١٨/ ٤٠٧).

(٥) مجموع فتاوىٰ ابن تيمية (٧/ ١٧٠-١٧١).

ومن أهمية تعظيم الله: أنه هو الذي يعطي العبادةَ روحَها وجلالَها، وهو الذي يجعلُها عبادةً مقبولةً خالصةً صحيحةً تامَّةَ الشروطِ والأركانِ، أمَّا عبادةٌ بلا تعظيمٍ فإنها كالجسدِ بلا روحٍ، ولذلك قال ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وروحُ العبادةِ هو الإجلالُ والمحبةُ، فإذا تخلَّىٰ أحدُهما عن الآخرِ فسدَتْ، فإذا اقترنَ بهذين الثناءُ علىٰ المحبوبِ المعظَّمِ فذلك حقيقةُ الحمدِ»[(١)].

ومن أهمية تعظيم الله أيضا: أنه إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد، أورثه الحياء من الله والهيبة له، فغلب علىٰ قلبه ذكر إطلاع الله العظيم إلىٰ ما في قلبه وجوارحه، وذكر المقام غدا بين يديه، وسؤاله إياه عن جميع أعمال قلبه وجوارحه، وذكر دوام إحسانه إليه، وقلة الشكر منه لربه، فإذا غلب ذكر هذه الأمور علىٰ قلبه، هاج منه الحياء من الله، فاستحيىٰ من الله أن يطلع علىٰ قلبه، وهو معتقد لشيء مما يكره، أو علىٰ جارحة من جوارحه، يتحرك بما يكره، فطهر قلبه من كل معصية، ومنع جوارحه من جميع معاصيه[(٢)].

وقال الشَّيخ محمَّد الأمين الشَّنقيطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لقوله تعالىٰ: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]: «أَيْ: عَظِّمْهُ تَعْظِيمًا شَدِيدًا، مما يدل علىٰ أهمية تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-»[(٣)].

فصفة العظمة لله تعالىٰ ثابتةٌ في الكتاب والسنة، وهي صفة من صفات الله الذَّاتية التي لا تنفك عن الله -جلَّ في عُلاه-[(٤)]، ويستدل لعظمة الله تعالىٰ بعظمة خلقه، وقد ضرب النَّبيُّ ﷺ وأصحابه أروعَ الأمثلة في تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-، وتعظيم أوامره، وقد ثبتت لله في الكتاب والسنة وإجماع أهل السُّنَّة، أمَّا في الكتاب؛ فقال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وأيضًا: قول الله تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة]، وقوله جلَّ في علاه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحاقة].

فالعظمة الكاملة المطلقة لله وحده -جلَّ وعلا-، من نازعه فيها ألبسه لباس الذُّلّ والعار في الدُّنيا، وألقاه يوم القيامة في نار جهنم[(٥)]. أمَّا من السُّنَّة؛ فقد جاء في الحديث القدسي: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ**»[(٦)].

هذه كلها تنبثق من اسم الله العظيم، فهذا الاسم يتضمن صفة الكمال وصفة العظمة.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥)
(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٢٦).
(٣) أضواء البيان (٣/ ١٩٠).
(٤) صفات الله وآثارها في إيمان العبد (٧/ ١-٣).
(٥) المرجع السابق (٧/ ٥).
(٦) مسند أبي داود الطيالسي (٢٥٠٩).

ثالثاً: الأمور التي يتعبد الله بها في صفة العظمة

يتعبد المرء لله -جلَّ في علاه- بصفة العظمة بعدَّة أمور[١]:

الأمر الأول: أن يتواضع كل التواضع لعظمة الله جل في علاه، فلا يتعاظم في نفسه بحال من الأحوال، إذ أنه من أظلم الظلم أن تطلب التعظيم والتوقير لنفسك، وأنت لست معظِّمًا لله ولا لأمره جل في علاه، فالواجب عليك أن تعظم الله، فتتواضع كل التواضع لله جل في علاه، فلا تتعاظم في داخل نفسك ولا تتكبر؛ لأن الله جل وعلا يبغض المتكبرين، وقد بيَّن علىٰ لسان نبيه ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[٢]، والعياذ بالله، فأصل تعظيم الله جل في علاه تواضع المخلوق لعظمة الخالق.

الأمر الثاني: تعظيم أمر الله، وتعظيم أمر رسول الله ﷺ، فمن تعظيم الله أن تعظم أوامره -جلَّ في علاه- بالسمع والطاعة علىٰ قدر طاقتك، قال الله -جلَّ في علاه-: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[الطلاق: ٧]، وقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦]، والله -جلَّ في علاه- بيَّن علىٰ لسان نبيه ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ».

فهذه دلالة واضحة جدًّا علىٰ تعظيم أوامر الله.

ومن تعظيم قدر الله -جلَّ في علاه-: تعظيم شعائره، وقد ربط الله تقوىٰ القلوب بتعظيم شعائره سبحانه؛ لأنه بيَّن أن من يعظم شعائر الله فإنها من تقوىٰ القلوب، فربط التقوىٰ بتعظيم الله وتوقيره -جلَّ في علاه-.

أيضًا من استحضار عظمة الله -جلَّ في علاه-: ألا تنظر إلىٰ عظمة المعصية، لكن تنظر إلىٰ عظمة من عصيت. ومن تعظيم الله -جلَّ في علاه-: أن توقِّر الله، فلا تجترئ علىٰ محارمه، قال الشَّاعر:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل عليّ رقيب

أي: أنَّه عظيم يعلم كل ما نفعل.

---

(١) صفات الله وآثارها (٧/ ٧).

(٢) صحيح مسلم (١٤٧).

المحور الثاني: طبيعة سكان شمال نيجيريا ومدى تعلقهم بكتاب الله هديا وتطبيقا

يعتبر شمال نيجيريا البوابة الرَّئيسة لدخول الإسلام في هذه المنطقة، حيثُ كان يطلق عليها بلاد السُّودان أو بلاد التَّكرور، يقول محمد بللو في كتابه (إنفاق الميسور في بلاد التكرور): «إنَّ هذا الاسم (التَّكرور) علمٌ علىٰ الإقليم الغربي من الجنوب السُّوداني، وهذا الاسم شاع في الحرمين ومصر والحبشة، ومندرسٌ في محلّه حتىٰ لا يعرفه أهل هذه البلاد أصلًا، وإنَّما ينقلونه من الحُجَّاج الذين سمعوه من الحرمين ومصر»[(١)].

إنَّ شمال نيجيريا كما هو معروف ينقسم إلىٰ ثلاث مناطق جيوسياسية، تتكون من تسع عشرة ولاية، هي الشَّمال الشَّرقي والغربي والوسط[(٢)]. وقد كانت هذه الولايات -ولا تزال- تربطها صلة قوية مع بعضها البعض، وهي صلة اللغة التي تتكلم بها[(٣)]، وهناك روابط أخرىٰ كالرابطة التجارية، فهي تحتاج إلىٰ بعضها البعض، والتحالف في أوقات الحروب، أو الخوف لمواجهة العدو الخارجي[(٤)].

ومنذ دخول الإسلام إلىٰ هذه المنطقة أصبحت الحياة تقام علىٰ أساس الشَّريعة الإسلامية، حيثُ اشتدت النَّزعة الدِّينية، واشتدَّ التَّمسك بها، واعتقادها في مجتمع شمال نيجيريا، وبالتالي جعل ذلك الاعتقاد الدِّيني يزيد من قوَّة الاعتقاد بالله -عزَّ وجلَّ- والايمان به، ويعظم في النَّفس عظمته ويكبر في القلب شأنه؛ فعمَّ تقديس الله وتعظيمه سبحانه وتعالىٰ، وشبَّ المجتمعُ كلّه علىٰ تبجيله وتوقيره وتعظيمه وتقديسه، يرثون ذلك كابرًا عن كابرٍ، حتىٰ صار هذا المجتمع يتميَّز بتمسكه الشَّديد بتعاليم الدِّين الإسلامي من كلّ النَّواحي الاجتماعية والاقتصادية، والسياسية ممارسةً وتطبيقًا وهديا ينير لهم حياتهم، ولا يكاد يخلو بيت من البيوت من كُتَّاب صغير أو خلوة لأحد المعلمين يمارس فيها تعليم النَّشء الدّين الإسلامي الحنيف، فعلىٰ سبيل المثال في الشَّمال

---

(١) إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (٣).

(٢) يشكل المسلمون أغلبية ساحقة في الشمال الشرقي والغربي، أمَّا الوسط فتبلغ نسبة المسيحيين فيه ٣٠٪ تقريبًا لعدم وجود إحصائية دقيقة.

(٣) اللغة الرئيسة المستعملة للتخاطب في شمال نيجيريا كلّه هي الهوسا، وهناك لغات أخرىٰ مثل: الفولاني والكانوري، وغيرها.

(٤) حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (٢٦).

الشرقي يرسل أولياء الأمور أبناءهم في سنٍّ مبكرة إلىٰ الكتاتيب وحلقات المساجد ليتعلموا القرآن، ويفهموا معانيه، ويطبقوه هديا علىٰ واقعهم اليومي، كما يتمتع هذا الشَّعب بحبِّه للقرآن الكريم حفظًا وفهمًا وتطبيقا، ويظهر هذا جليًّا في تعاملاتهم.

وقد أدَّىٰ هذا إلىٰ إنشاء معاهد تقليدية لتحفيظه، وتدريس علومه، والمشاركة في المسابقات المحلية والعالمية أواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرآن.

هذه الأنشطة جعلت شعب شمال نيجيريا يتعلَّق بالقرآن تعلَّق الأبناء بأمِّهم، ويعتني به اعتناء الوالدة بأبنائها، فقلّما تجد في مناطق مثل مدينة ميدغري[١] أسرة كاملة تخلو من حافظ لكتاب الله علىٰ الأقل، أو مسجدًا لا تقام فيه حلقات لتعليم القرآن، حتىٰ أصبح ذلك ديدن هذا الشَّعب، وواقعًا ملموسًا، وبرنامجًا تقوم عليه حياتهم اليومية، إلَّا أنَّه وللأسف الشَّديد تغير هذا الواقع، وارتدت الأمور رأسًا علىٰ عقب، وحدثت تغيراتٌ في طبيعة هذا المجتمع وبنيته التي عُرف بها، فالآن كلّ ما أمام المسلم في هذا المجتمع يصرفه عن حلاوة الإيمان ويحرمه من تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-، إلَّا من جاهد نفسه جهادًا عظيمًا، فالمغريات الآن في كلّ مكان، في البيت والشَّارع، والإنترنت ومواقع التَّواصل الاجتماعي، وفي الجامعات.

ولا تخلو ولاية من ولايات شمال نيجيريا إلَّا وغرقت بالخمور والمخدرات، وانتشرت الملاهي، وكثر المجون، وابتعد الناس عن تعظيم الله بابتعادهم عن هدي القرآن، وطغت الإباحية، وعلا صوتها في أوساط أبناء هذا المجتمع علىٰ كلّ صوت يدعو إلىٰ الله، وتخاذلت الهمم، وفسدت الأمم بإعراضها عن كتاب الله، وهضم الغني حقَّ الفقير، واندثرت الفضائل، وانتشرت الرَّذائل. فهذه نوادي ومسارح فاتنة، ومراقص ماجنة، وأفاعي كاسية عارية تتلوىٰ، ولحوم بشرية في الشَّواطئ متراكبة، ونفوس دنيئة تتهافت علىٰ مجاري القذارة، تَعُبّ منها في نهم متزاحمة، ورجال يقفزون في حلبات الرَّقص كقرود لاهثة.

وزعم الإسلام من لا يعرفه، ونبذ أوامره في سبيل شهواته[٢]، واستتبع هذا طلب الدُّنيا والتعلّق بها، أضف إلىٰ ذلك التَّكاسل والتَّقصير في بذل الأسباب التي تُبعد الإنسان عن هذه الأجواء ولو في بعض أيامه، حتىٰ يتذوَّق فيها طعم الإيمان، ويتزوَّد بالتقوىٰ واليقين والاستقامة. وسيتم تسليط الضوء في المحور التالي علىٰ الأسباب التي أدت إلىٰ عدم تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في مجتمع شمال نيجيريا.

---

(١) منطقة في شمال شرق نيجيريا، اشتهرت بكثرة حفاظ كتاب الله

(٢) كتاب التوحيد المسمىٰ بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد» (١/ ٢١).

المحور الثالث: الأسباب المانعة لتعظيم الله -عزَّ وجلَّ- في شمال نيجيريا

علىٰ الرّغم من كلّ الجهود الجبارة التي بذلها العلماء والدعاة، وما زالوا يبذلونها في خدمة كتاب الله، وتطبيقه علىٰ أرض الواقع في حياة الشَّعب النَّيجيري، والعيش علىٰ هديه خاصّة في الشّق الشّمالي من الدّولة، إلَّا أنَّ السَّواد الأعظم من هذا الشَّعب لا يراعي حرمة هذه التّعاليم، ولا يلقي لها بالًا لأسباب يمكن تلخيصها في الآتي:

١- **ضعف الإيمان بالله**: ظاهرة ضعف الإيمان هي مما عم وانتشر في أوساط مجتمع شمال نيجيريا، وضعف الإيمان هو أساس كل مصيبة وسبب كل بلية ومحنة لأنه يؤدي إلىٰ الوقوع في المعاصي، فالمسلم ينهاه ضميره المشرئب بتعظيم الله -عزَّ وجلَّ- عن ارتكاب المعاصي مثل شرب الخمور والزّنا والسّرقة، وأخذ حقّ الغير أو الانتقاص منه أو الاعتداء عليه بالإتلاف عن طريق الحرق أو التخريب بأي وسيلة كانت، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَفَىٰ بِالْعَاصِي عُقُوبَةً أَنْ يَضْمَحِلَّ مِنْ قَلْبِهِ تَعْظِيمُ اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَعْظِيمُ حُرُمَاتِهِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ حَقُّهُ، وَمِنْ بَعْضِ عُقُوبَةِ هَذَا: أَنْ يَرْفَعَ اللهُ -عزَّ وجلَّ- مَهَابَتَهُ مِنْ قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِمْ، وَيَسْتَخِفُّونَ بِهِ، كَمَا هَانَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَاسْتَخَفَّ بِهِ، فَعَلَىٰ قَدْرِ مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِلَّهِ يُحِبُّهُ النَّاسُ، وَعَلَىٰ قَدْرِ خَوْفِهِ مِنَ اللهِ يَخَافُهُ الْخَلْقُ، وَعَلَىٰ قَدْرِ تَعْظِيمِهِ لِلَّهِ وَحُرُمَاتِهِ يُعَظِّمُهُ النَّاسُ، وَكَيْفَ يَنْتَهِكُ عَبْدٌ حُرُمَاتِ اللهِ، وَيَطْمَعُ أَنْ لَا يَنْتَهِكَ النَّاسُ حُرُمَاتِهِ أَمْ كَيْفَ يَهُونُ عَلَيْهِ حَقُّ اللهِ وَلَا يُهَوِّنُهُ اللهُ عَلَىٰ النَّاسِ؟ أَمْ كَيْفَ يَسْتَخِفُّ بِمَعَاصِي اللهِ وَلَا يَسْتَخِفُّ بِهِ الْخَلْقُ؟»[1].

٢- **الجهل بمعاني القرآن الكريم**: حقيقة، معظم سكان شمال نيجيريا يجهلون معنىٰ تعلم القرآن الكريم، فكثير منهم يتعلم قراءته تطبيقيا، لكن بعد أن يتقن القراءة لا يبذل أي مجهود في تعلم كيفية العيش علىٰ هديه من خلال البحث عن معانيه وتفسيره، وأسباب النزول ومعرفة الناسخ والمنسوخ منه، والمحكم والمتشابه، والأحكام التي أتىٰ بها، ولا العبر والدروس التي تضمنها، أو بمعنىٰ آخر، إن كثيرا من الناس يحصر العلم في تعلم قراءة القرآن فقط، ويرسل أولاده للكتاتيب لهذا السبب تحديدا، فإذا حفظوا، أو ختموا، أو أتقنوا القراءة يرجعون إلىٰ أهلهم

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (١/ ٦٩).

وذويهم من دون تسلح بأي علم شرعي، فيتعبدون الله علىٰ جهل مركب، ويترأسون مجتمعاتهم بلا علم ولا سابق استعداد، فيَضلون ويضلون. أضف إلىٰ ذلك غالبية من يمن الله عليهم بحفظ القرآن يتعالون علىٰ الناس ويتكبرون عليهم، بسبب الاعتقاد الخاطئ أن من يتقن قراءة القرآن عن ظهر غيب قد أكمل الإلمام بكل معاني الدين وتعاليمه، فالجهل هو أصل كل شر فلولا الجهل ما عبد مع الله تبارك وتعالىٰ أحد، فكل فساد وضلال في الأرض لو نقبت عنه لوجد الجهل هو سببه ومنبعه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والجهل والظلم هما أصل كلِّ شرٍّ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب]»[(١)].

٣- **ممارسة الدجل والشعوذة**:- معظم ولايات شمال نيجيريا تنتشر فيها مظاهر السحر وأنواعه بسبب ضعف الإيمان بالله تعالىٰ، وظهور الجهل بأحكام الشريعة، وسذاجة الكثير من المسلمين وجهلهم بحال هؤلاء السحرة المشعوذين، وتعطيل أحكام الله تعالىٰ في هؤلاء السحرة، ومعظم من تعلم القرآن بالأخص في القرىٰ والمدن المحدودة التطور الحضاري وقلة العلماء الربانيون ينتهي بهم المطاف إلىٰ ممارسة ما يخالف تعاليم الإسلام إلا من رحم الله، فتجدهم يقومون ببعض الأعمال التي تصنف من قبيل الشعوذة، مثل تعلم الطلاسم التي لا تسمن ولا تغني من جوع، واعتقاد أنها تجلب المنافع أو تمنع المضار، وهذا باب كبير للشر أعاذنا الله من ذلك.

٤- **الانفلات والانحراف**: السواد الأعظم من الشباب الذين يُرسلون لتعلم القرآن يعيشون **حياتهم** دون رقيب أو حسيب، فالشيخ الذي يقوم بتعليمهم لا يهتم بأي جانب من حياتهم، سواء الروحي أو الجسماني، مما يجعلهم عرضة لجميع آفات وسيئات المجتمع الذي يعيشون فيه، فينتهي بهم الطريق في نهاية المطاف إلىٰ التسكع في الشوارع يتناولون المواد المخدرة للعقول، وربما قاموا بالسرقة والنهب كوسيلة للاسترزاق، لا سيما إنهم لم يتعلموا أي حرفة أو صنعة يتكسبون منها، ولم يتعلموا من الدين غير التهجي بالقرآن فقط ولا شيء غير ذلك.

---

(١) خالد محمد حسن البعداني، مقال بعنوان: الجهل، نشر بتاريخ ٣١ ديسمبر ٢٠١٢م عبر بوابة موقع: wwwjameatalemanorg.com

٥- **التّسول**: في شمال نيجيريا، الاعتقاد السَّائد هو أنَّ التلميذ الذي يرسل ليتعلم القرآن يجب أن يتسول، ويتكفّف النّاس لكي يجد ما يسدّ به رمقه؛ لأنَّ هذا يزيد من بركة التَّعلم، ويسهم في زيادة الفهم وسرعة الحفظ، لذلك عندما يوكل أولياء الأمور أولادهم لمعلمي القرآن الكريم، لا يتكفلون لا بملبسهم ولا بمطعمهم، ولا حتىٰ مسكنهم، ولا أي شيء آخر. وبالتَّالي كان لزامًا علىٰ هؤلاء الأطفال أن يعتنوا بأنفسهم، حتىٰ وإن أدَّىٰ ذلك إلىٰ التَّكفف ومسألة النَّاس. هذه الظاهرة كانت ولا زالت منتشرة بكثافة وتتمدد علىٰ الرّغم من محاربتها من قبل المشايخ والحكومات المحلية خلال السنوات العشر الماضية؛ لأنّها متجذرة في عقول الناس منذ قديم الزَّمان وفي كلّ الولايات الشَّمالية.

٦- **كثرة الحلف**[(١)]: بما أن أصل اليمين إنما شرعت تأكيدًا للأمر المحلوف عليه، وتعظيمًا للمحلوف به، فإنه يجب أن يُصان اسم الله، ويُصان الحلف به واليمين به إلا عند الحاجة إليها، وكثرة الحلف بالله تدل علىٰ عدم احترام اسمه، والاستهانة والاستخفاف بالحلف به، وهذا نقصٌ في التوحيد، ينافي تعظيم الله - -عزَّ وجلَّ- - الذي هو من تمام وكمال التوحيد، فالإكثار من الحلف يدل علىٰ أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم الله ما يقتضي هيبة الحلف بالله[(٢)]. ومن العادات السيئة التي تحسب علىٰ شعب شمال نيجيريا، وتدلّ علىٰ عدم احترام تعاليم الإسلام، وتنم علىٰ الجهل بها= هي الحلف بالقرآن، وجعله عرضة للأيمان، فيحلفون به في كلّ صغيرة وكبيرة. وتجدر الإشارة هنا: إلىٰ أنّ شعب شمال نيجيريا من أكثر الشُّعوب حَلْفًا، فيحلفون حتىٰ في الأشياء البسيطة، مثلًا إذا سألتَ أحدَهم: أين فلان؟ فيجيب: والله، ما رأيته. وهكذا يحلفون بالقرآن. مع ما يدلّ عليه من الاستخفاف وعدم التعظيم لله، لقوله ﷺ: «من كان حالفا فلا يحلف إلا بالله»[(٣)].

---

(١) الحلف: هو اليمين والقسم، وهو تأكيد الشيء بذكر معظَّم بصيغة مخصوصة بأحد حروف القسم، وهي: الباء، والواو، والتاء»

(٢) ينظر: القول السديد (١٨٢)، وشرح كتاب التوحيد (٢٧٠)، والقول المفيد (٢/ ٤٥٤)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٦٤)، وإعانة المستفيد (٢/ ٢٧٠)، والملخص (٤٠٤).

(٣) أخرجه أحمد (٥٧٣٦).

أيضًا: ممّا يؤخذ علىٰ شعب شمال نيجيريا= هو أنّهم لا يحترمون حُرمة القرآن، ولا يقدرونه حقّ قدره بالابتعاد عن سفاسف الأمور، وكلّ ما يخدش سمعة حفظة كتاب الله، فحتىٰ المهرة منهم يُذِلّون أنفسهم علىٰ أبواب الأغنياء، ومَن منَّ الله عليه بشيء من المال، كما أن الأغنياء أيضًا يترفعون علىٰ الحفظة، ويتجنبون حضور مجالسهم، أو حتىٰ ملاقاتهم.

٧- **التساهل في أوامر الله**: فتجد كثيرًا من النَّاس في شمال نيجيريا لا يؤدُّون العبادات علىٰ الوجه المطلوب، فلو كانوا يعظِّمون الله حقَّ التَّعظيم لعظَّموا أمره كذلك.

٨- **هجر القرآن**: وعدم تدبره حال قراءته، وعدم الوقوف عند وعده ووعيده. وأصبح همُّ القارئ منهم آخرَ السُّورة فحسب، أو الحفظ فقط دون اعتبار للهدف الذي أنزل من أجله القرآن. أصبحت قلوب المسلمين معرضة لخطرات الوساوس والأوهام من هجرهم للقرآن، فالذي يثبتها علىٰ الحقّ، ويدفع عنها الشكوك والحيرة، ويربطها باليقين هو القرآن الكريم. من آداب قراءة القرآن الكريم: أن يكون الإنسان عند قراءة القرآن متطهِّرًا، وأن يكون متخشِّعًا، وأن يكون متدبرًا لكلام الله -عزَّ وجلَّ-، وأن يكون مستحضرًا لكون القرآن كلام الله حروفه ومعانيه، حتىٰ يحصل له من تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- حال قراءة القرآن ما لا يحصل له لو كان غافلًا[1]، قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص]، فحاجتنا إلىٰ تجديد تلاوته وتدبر آياته أكيدة جدا لتقوية قلوبنا باليقين حتىٰ ننعم بتعظيم الله -عزَّ وجلَّ-.

٩- **الغفلة عن ذكر الله**، مع كثرة المشغلات يسهو الناس ويغفلون عن ذكر الله، فتجد الشخص في المستشفيات أو في إحدىٰ الدوائر الحكومية جالسًا علىٰ كرسي الانتظار زمنًا طويلًا وهو لا يذكر الله ولا يسبحه ولا يكبره، حتىٰ وإن سبح وكبر فهو لا يعي معنىٰ هذا التسبيح وهذا التكبير[2].

---

(١) كتاب التوحيد المسمىٰ بـ«التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد» (١/ ٢١).

(٢) رسالة في تعظيم الله، للأستاذ أديب بن محمد المحيذيف، مجلة البيان، العدد ١٠١/ ١٤١٧هـ.

١٠-**النظر في ما حرم الله تعالىٰ**: فالنظر الحرام يولد في القلب القسوة والجفاء، وهذ ألا يتأتىٰ مع التعظيم، لأن التعظيم لا يكون إلا من قلب خاضع خاشع لين مقبل علىٰ الله بكليته[١]، هذه الأمور وغيرها ساعدت علىٰ عدم تعظيم الله وتقديره في مجتمع شمال نيجيريا.

(١) المرجع نفسه.

المحور الرابع: الأمور المعينة على تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-

عدّ الله -سبحانه وتعالىٰ- تعظيمه بشتىٰ المظاهر من أفضل الأعمال القلبيّة التي يتقرب بها المسلم إليه -سبحانه- وأجلّها، ولا سيّما في هذا الزمان الذي شاع فيه الاستهزاء بالدين والاستخفاف بشعائر الله والتسفيه لأهل الله وخاصّته، والقصد من تعظيم الله -تعالىٰ- الإيمان المُطلق بأنّه -سبحانه- أعظم من كل شيء، وأجلّ من كلّ أمر، وأكبر ما في الوجود، وهذا التعظيم لا يتحقّق إلا بإثبات صفاته -عزَّ وجلَّ- كلها، وتنزيهه عن كل عيب ونقص، وقد تم تقسيم هذا المحور إلىٰ ثلاث بنود رئيسة، وهي: مظاهر ووسائل تعظيم الله تعالىٰ ثم ثمرة تعظيم الله.

أولًا: مظاهر تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-

إن تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- هو أعظم العبادات القلبية التي يجب تحقيقها والقيام بها، وإن لتعظيم الله -عزَّ وجلَّ- مظاهر، من أهمها:

١- **تعظيم كلام الله**: ومن تعظيم الله تعالىٰ تعظيم كلامه، وتحقيق النصيحة لكتابه تلاوة وتدبرًا وعملًا. فمن تدبر القرآن، وعرف تفاوت الخلق في محبّة ربهم، وتوحيده، والعمل بطاعته، والهرب من معصيته، وإيثار ما يحبّه تعالىٰ رغبةً وعملًا، وترك ما يكرهه خشيةً ورجاءً= فقد حقَّق تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-، وقد حقَّق سلفنا الصَّالح الواجبَ نحو كتاب الله تعالىٰ من التَّعظيم والإجلال.

٢- ومما يجب تعظيمه وتوقيره: **تعظيم رسول الله وتوقيره**، وتعظيم سُنّته وحديثه، فإنّ الله أمر بتعزيره وتوقيره، فقال: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح].

والتعزير: اسمٌ جامعٌ لنصره وتأييده ومنعه من كلّ ما يؤذيه، **والتوقير**: اسمٌ جامعٌ لكلّ ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال.

ومن ذلك: أنَّه خصّه في المخاطبة بما يليق به، فقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، فنهىٰ أن يقولوا: يا محمّد، أو يا أحمد، أو يا أبا القاسم، ولكن يقولوا: يا رسول الله، يا نبي الله، وكيف لا يخاطبونه بذلك والله سبحانه وتعالىٰ أكرمه في مخاطبته إيَّاه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء، فلم يَدْعُه باسمه في القرآن قط.

ومن ذلك: أنه حرّم التقدم بين يديه بالكلام حتىٰ يأذَن، وحرم رفع الصَّوت فوق صوته، وأن يُجهر له بالكلام كما يجهر الرَّجل للرَّجل.

ومن ذلك: أنَّ الله رفع له ذكره، فلا يُذكر الله سبحانه إلَّا ذُكر معه، وأوجب ذكره في الشَّهادتين اللَّتين هما أساس الإسلام، وفي الأذان الذي هو شعار الإسلام، وفي الصَّلاة التي هي عماد الدين[1].

٣- وممَّن يجب تعظيمهم وإجلالهم: **صحابة رسول الله** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فيتعين احترامهم وتوقيرهم، وتقديرهم حق قدرهم، والقيام بحقوقهم -رضوان الله عنهم- فهم الذين آمنوا به وهاجروا معه، وآووه ونصروه وجاهدوا معه، وقَفَوا أثره بعد مماته، فرضوان الله عليهم أجمعين.

ثانيا: وسائل تعظيم الله

١- **تحقيق العبودية الكاملة لله تعالىٰ**: فالعبد كلما تقرب إلىٰ ربه بأنواع العبادات وأصناف القرُبات عظُم في قلبه أمر الله، فتراه مسارعًا لفعل الطاعات مبتعدًا عن المعاصي والسيئات.

٢- **التدبر الدقيق للقرآن الكريم** وما فيه من حِكم وأحكام، والنظر فيما فيه من الدروس والعبر، وأن نتدبر في الآيات التي تتحدث عن خلق الله وبديع صنعه، والآيات التي تتحدث عن عقوبته وشديد بطشه، وآيات الوعد والوعيد، فإن تدبر القرآن يؤثر في القلب ولا شك، ويُذكي فيه عظمة الخالق والخوف منه، فالقرآن العظيم هو الدَّواء النَّاجع لعلاج التقصير، والمذكّر بما يجب علىٰ الإنسان نحو ربه، قال الله تعالىٰ واصفا أحوال الجاحدين: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾ [الحج].

وقال الحسن البصريُّ مبيِّنًا معنىٰ تدبر القرآن: «أما -والله- ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتىٰ إن أحدهم ليقول: لقد قرأتُ القرآن كلّه فما أسقطتُ منه حرفًا، وقد والله أسقطه كلَّه، ما يُرىٰ له القرآن في خلق ولا عمل، حتىٰ إنَّ أحدهم

(١) تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد» (٢٧) بتصرف.

ليقول: إنِّي لأقرأ السُّورة في نَفَس. والله، ما هؤلاء بالقُرَّاء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الوَرَعة، متىٰ كانتِ القُرَّاء مثل هذا، لا كثَّر الله في الناس مثل هؤلاء»[(١)].

٣- **التفكر في مخلوقات الله**: يستدل علىٰ عظمة الله -جلَّ في علاه- بالنظر والتدبر في عظيم خلق الله -جلَّ في علاه-، فإن العبد يؤمر من قبل ربه أن يوقر ربَّه، وتوقير الله بمعنىٰ تعظيم الله -جلَّ في علاه- بالنظر في مخلوقاته، خذ مثلًا: السماوات والأرض، فإنَّ النَّاظر فيها ليدهش من بديع صنعها وعظيم خلقها واتساعها، ومع هذا فهو لا يرىٰ فيها شُقوقًا ولا فُطورًا، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤﴾ [المُلك]. ولهذا أثنىٰ الله علىٰ عباده الذين يتفكَّرون في خلق السَّماوات والأرض، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾ [آل عمران].

ومن الأحاديث الدَّالَّة علىٰ عظمة السَّماوات: ما رواه أبو ذرٍّ الغِفاريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال الرَّسول ﷺ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ الْحَلْقَةِ»[(٢)]. فهذا الحديث يبيِّن عظمة السَّماوات وعظمة الكرسي والعرش. ونحن بني آدم لا نساوي شيئًا أمام هذه المخلوقات العظيمة، فيا سبحان الله، كيف بالإنسان هذا الضَّعيف الذَّليل يتكبر ويتبجح ويقارع جبَّار السَّماوات والأرض بالمعاصي والآثام، نسأل الله السلامة والعافية.

٤- **الذكر والدعاء**: لِأَنَّ الذِّكْرَ يَبْعَثُ الذَّاكِرَ عَلَىٰ تَعْظِيمِ اللهِ تَعَالَىٰ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِالصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ خُضُوعٌ وَثَنَاءٌ[(٣)]، فتعظيم الله تعالىٰ وإجلاله بالأذكار والتسابيح الكثيرة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه (١/ ١٥٨).

(٢) أخرجه ابن حبّان (٣٦١)، وصححه الألبانيّ في (الصحيحة: ١٠٩).

(٣) التحرير والتنوير (٣٠/ ٨٨).

هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ [الأحزاب].

والدُّعاء أنفع الأدوية، وأقوىٰ الأسباب، متىٰ ما حضر القلب وصدقت النِّيَّة؛ فإنَّ الله لا يخيّب من رجاه، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة].

ثالثا: ثمرة تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-

١- تحقيق معنىٰ العبودية والفوز بسعادة الدَّارين.

٢- استحقاق محبة الله سبحانه وتعالىٰ.

٣- الطمأنينة والراحة النفسية.

٤- تفريج الهموم والكربات.

٥- تماسك المجتمع المسلم وترابطه واستقراره.

المحور الخامس: دور العلماء في نشر ثقافة تعظيم الله في شمال نيجيريا

بما أن شمال نيجيريا كان مصبوغا بالصبغة الإسلامية قبل مجيء المستعمر الأوروبي، وأن العلماء والدعاة كانت لهم الكلمة، وهم القادة في هذا المجتمع، والتغيير في حاله من سيئ إلىٰ أفضل، ومن الفساد إلىٰ الصلاح.

فالشَّيخ عثمان مثلًا لم يستطع أن يقوم بجهاده ضد الممالك الهوساوية، إلَّا بعد أن ربَّىٰ تلامذته وأتباعه علىٰ تقوىٰ الله وتعظيمه في نفوسهم، والعمل بأحكام الشَّريعة الإسلامية، وعندما تأكد من رسوخ هذه التعاليم في قلوبهم، واعتدىٰ عليهم الوثنيون، ووقفوا ضدّ دعوتهم= أعلنوا الجهاد، وبفضل الله كانت الغلبة، وصار لهم العز والتمكين، فطبقوا شرع الله، وأصبح العلماء والدعاة هم رجال الدولة وأصحاب الحل والعقد، إلىٰ أن استولىٰ علىٰ هذه البلاد المستعمر الإنجليزي.

لم يغفل العلماء والدُّعاة في فترة الاستعمار عن دورهم، وإن كان قد تضاءلت بسبب التهميش والإبعاد والمحاربة في فترة الاستعمار، وقد كانت طرق دعوتهم تتسم بالسلم، وتقوية محبة الله ورسوله في نفوس أتباعهم، وتعليمهم شرعه وهديه، ورتق الفتقات التي سببها المستعمر، وتصحيح المفاهيم الخاطئة التي انتشرت بسبب البدعة في دين الله.

وبعد الاستقلال، كثَّف العلماء أنشطتهم وجهودهم بتوعية الناس بواجباتهم الدينية، وتعظيم حرمة الله، فأنشأوا لذلك المؤسسات التعليمية عندما وجدوا أنفسهم خارج العملية السياسية لإدارة أمور الدولة، ليتخرج من هذه المؤسسات جيلًا مزوَّدًا بأقوىٰ الأسلحة العلمية، وملمًا بعلوم دينه، وحاملًا للشهادات الأكاديمية التي تؤهله للمناصب الحكومية، وبنوا المساجد لتكون منطلقا لدعوتهم، ومركزًا لهم يوجهون من خلالها الناس إلىٰ ما هو أصلح لهم في دينهم ودنياهم، وأسسوا كذلك المجمعيات الإسلامية لتقوم بالعمل المجتمعي في شمال نيجيريا.

وأمَّا في وقتنا الحاضر فقد كانت هناك دور للعلماء والدعاة في شمال نيجيريا يقومون به في نشر ثقافة تعظيم الله علىٰ مدار الساعة، عبر منابر الجمعة والإذاعة وغيرها من الوسائل فيُقِيمون للناس حلقات للدروس في المساجد، خاصة بين المغرب والغشاء ويُذكِّرونهم بأيام الله، وتكثر هذه الأنشطة في مواسم الطاعات، حيث يقيمون مجالس الوعظ والتفسير،

وموسم الحج يدربون الحجيج علىٰ مناسك الحج والعمرة، ومرافقتهم في بعثات رسمية للحج كموجهين ومرشدين.

هذه الأنشطة ساعدت كثيرًا علىٰ نشر ثقافة تعظيم الله في شمال نيجيريا، وزادت من وعي الناس بدينهم. والفضل بعد الله يرجع للعلماء والدُّعاة، ومع ذلك فإنَّ التحدي ما زال قائمًا، والنّاس في مجتمع شمال نيجيريا بحاجة إلىٰ المزيد، فالله نسأل أن يوفقنا إلىٰ نشر الخير، ويسددنا، ويثبت خطانا، إنَّه سميع قريب مجيب.

الخاتمة

وفيها أهمّ النتائج والتوصيات، والتي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أولا: النتائج

خلصت الدراسة إلىٰ جملة من النتائج التي يمكن حصرها في الآتي:

١- أن أهم الأسباب المؤدية لعدم تعظيم الله تعالىٰ: الجهل بدين الله (تعالىٰ)، وقلة العلم الشرعي، وضعف التفقه.

٢- أن تعظيم الله تعالىٰ واجب شرعي علىٰ كل مسلم، ومن مقتضىٰ تعظيمه الاعتراف بإنزاله الكتب السماوية علىٰ أنبيائه، رحمة بعبادة، وإصلاحا لشأنهم.

٣- أن العمدة الكبرىٰ في الإيمان تعظيم الله تعالىٰ بأقصىٰ الإمكان

٤- أن أصل الدين مبني علىٰ تعظيم الله وتعظيم دينه ورسله والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة

٥- يَظْهَرُ تَعْظِيمُ اللهِ فِي شِدَّةِ الْمُحَافَظَةِ عَلَىٰ امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَاجْتِنَابِ نَهْيِهِ، وَالْمُسَارَعَةِ إِلَىٰ كُلِّ مَا يُرْضِيهِ.

٦- القلب المشرئب بتعظيم الله يمنعه ذلك من الوقوع في المعاصي

٧- أنّ حاصل شريعتنا الغراء تعظيم الله والثّناء عليه، والانقياد لطاعته، وصرف النّفس عن حبّ الدّنيا.

ثانيا: التوصيات

١- ينبغي للمسلم تعظيم الله وتمجيده وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من صفات النقص في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه.

٢- عل العلماء والعاملين في حقل الدعوة والمؤسسات الدينية أن يولوا اهتماما كبيرا بغرس القيم الدينية وتنميتها في نفوس الناس من خلال تكثيف البرامج الدينية في المساجد والمنابر والتلفزيون والإذاعة وعبر المؤسسات التعليمية وغيرها من وسائل الإعلام الحديثة.

٣- ينبغي للمسلم ألا تحرمه مغريات الدنيا وملذاتها عن تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-

٤- تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- أن نثبت له ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل

٥- علينا معاشر المسلمين أن نستيقظ من نومة الجهل، وأن نعظم ربنا بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وإخلاص العبادة له، وتعظيم نبينا ﷺ باتباعه والاقتداء به في تعظيم الله، والإخلاص له والاقتداء به في كل ما جاء به.

٦- ينبغي لطلاب العلم والخطباء أن يحرصوا علىٰ جانب الوعظ في المنابر وفي المجالس وفي كل مكان.

٧- بث روح العقيدة الصحيحة في نفوس الناس

٨- تكثيف البرامج والأنشطة الثقافية الدينية التي تعزز التربية الروحية مثل: المسابقات الدينية، الحلقات القرآنية والمحاضرات الدينية وغيرها.

٩- علىٰ الآباء أن يهتموا ببلورة الجانب الفطري في أبنائهم من خلال ربطهم بالله -عزَّ وجلَّ- منذ صغرهم.

وأخيرًا؛ نسأل الله الحليم المنان أن ينفع بهذا العمل المتواضع كلّ من قرأه، أو استمع إلىٰ ما فيه، وأن يجعله خالصًا لوجهه، آمين،،

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، لبنان.

٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت، لبنان، ط٢/ ١٩٩٨م

٣- صفات الله وآثارها في إيمان العبد، محمد حسن عبد الغفار، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، بوابة الموقع:

http: //www.islamweb.net

٤- تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد»، أحمد بن عثمان المزيد، دار الوطن للنشر، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١ م

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١/ ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م،

٦- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢/ دار الفكر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

٧- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤/ ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧ م

٨- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.١ – البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: ٥٢٠هـ)، تحقيق: د محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان.ط٢، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م،

٩- مجموع الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ١٧٠ - ١٧١)
١٠- التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار ابن القيم للنشر والتوزيع – الدمام، ط١/ ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ج١/ ٥٤
١١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣/ ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م
١٢- تعظيم قدر الصلاة.
١٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ مـ
١٤- صفات الله وآثارها فىٰ إيمان العبد، محمد حسن عبد الغفار، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ورقم الجزء هو رقم الدرس - ١٠ دروس، ج٧/ ١—٣ عبر بوابةhttp: //www.islamweb.net
١٥- مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرىٰ (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر - مصر، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
١٦- إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، الشيخ محمد بللو بن الشيخ عثمان دن فوديو، نخقيق وتنغ، لندن ١٩٥١م.
١٧- حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، د. شيخو أحمد سعيد غلادنثي، ط٢، ١٩٩٣م/ المكتبة الإفريقية
١٨- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار المعرفة - المغرب، ط١/ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
١٩- مقال بعنوان: الجهل، خالد محمد حسن البعداني، نشر بتاريخ ٣١ ديسمبر ٢٠١٢م عبر بوابة موقع:wwwjameatalemanorg.com

٢٠- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

٢١- كتاب التوحيد المسمىٰ بـ «التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، عمر العرباوي الحملاوي (ت: ١٤٠٥هـ)، مطبعة الوراقة العصرية، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

٢٢- رسالة في تعظيم الله، أ. أديب بن محمد المحيذيف، مجلة البيان، العدد ١٠١/ ١٤١٧هـ-

٢٣- تعظيم الله جل جلاله «تأملات وقصائد»، أحمد بن عثمان المزيد.

٢٤- التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط١- ١٤٢٢هـ.

٢٥- زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١/ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م

٢٦- التحرير والتنوير «تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفىٰ: ١٣٩٣هـ) الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ـ